فكاهات

بعد مئة سنة (١)

كان في سنة ١٧٩٨ في مدينة ليون من اعمال فرنسا فتى من اسرة غير دنيئة يدعى لويس • وكان مع غضاضة شبابهِ غير جميل الصورة نحيل الجسم عصبي المزاج وكأن الله قد اعاضهُ عن جمال خلقهِ بجمال اخلاقهِ فكان ذا نفسٍ ابية وعريكة لينة رقيق القلب شديد الاحساس خدوماً محباً وقف نفسهُ على مصالح الناس قبل مصلحة نفسهِ • وكان لويس في صناعتهِ صائغاً يعمل بما يقوم بأودهِ ولما كان وحيداً لم يكن يحتاج الى العمل الكثير فبعد ان يعمل في يومهِ ما يكفي لسداد نفقاتهِ يقفل حانوتهُ وينصرف فيما بقي من نهارهِ لخدمة اصدقائهِ ومساعدة من يحتاج الى مساعدتهِ في امر من الامور

وخطر للويس يوماً ان يجيل افكارهُ في امر الزواج وقد سئم من حياة الوحدة فاحب ان يكون لهُ بيت صغير وزوجة امينة محبة واولاد صغار يربيهم ويعتني بهم • وما زالت هذه الاماني تتوارد على مخيلتهِ حتى صمم على الامر وجعل يبحث عن فتاة توافق ذوقهُ ليشركها في حياتهِ ويعيشا معاً • وكانت تتردد على حانوتهِ سيدة وابنتها تبتاعان منهُ بعض الحلى وتكلفانهِ اصلاح مصوغاتهما او تغيير ما بطل استعمالهُ • فرأى لويس في الابنة جاذباً واعجبهُ جمالها وادبها فاحبها حباً مفرطاً • ولما لم يرَ منها ولا من والدتها ما يقوّي املهُ على مفاتحتهما حديث حبهِ خشي انهُ اذا فعل ربما نفرتا منهُ وحرم مشاهدتهما وانقطع ارتزاقهُ منهما • غير انهُ كان اذا اتتا حانوتهُ يبالغ في ملاطفتهما ويخدمهما بغاية الدقة وهما تحملان ذلك على مجاملة التاجر للذين يعاملونهُ • ولما اشتدَّ هيام لويس بالفتاة انقطع عن اصدقائهِ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ومعارفهِ ولزم دكانهُ فكان يقضي فيهِ كل نهارهِ و بعضاً من ليلهِ • واذا لم يبقَ بين يديهِ ما يصنعهُ شاغل نفسهُ بصياغة حليةٍ لعلهُ يتوفق يوماً ان يهديها الى مالكة فؤادهِ • غير انهُ كان اذا جآءتهُ يغلب عليهِ الوجوم والخجل ثم متى خرجت يأخذ تلك الحلية فيكسرها قائلاً قد صنعت هذه على اسم لويزا حبيبتي فلن يتحلى بهـا احد غيرها • و بعد قليل يضجر من قلة العمل فيعود الى عمل قطعة اخرى و يناالها مثل نصيب الاولى الى ان صنع يوماً سلسلة ذهبية مزدوجة علق بها قلباً من الذهب الخالص ورصعهُ بالحجارة الثمينـة وجعلهُ مؤلفاً من قلبين منفصلين يضمان فيصيران واحداً • واعجبتهُ هذه الحلية فمنعهُ استحسانهُ لها من كسرها ودفعهُ الحب الى تقديمها لحبيبتهِ اول مرة تزورهُ • ولما جآءت فاتنتهُ ووالدتها بعد ذلك انتظر ان انهتا شغلهما معهُ وعزمتا على الانصراف فقال مخاطباً الام هل تسمحين لي يا سيدتي ان اتجاسر واقدم هذه الهدية الحقيرة الى هذا الملك الطاهر • وللحـال صبغ وجههُ الاحمرار وتلعثم لسانهُ فلم يستطع ان يزيد على ذلك ثم اخرج من خزانةٍ بجانبهِ تلك السلسلة ودفعها الى الفتاة بيدٍ مرتجفة • فقالت الام ما كنت لامانع من قبول هديتك لولا انها اثمن مما يجب ان تكون الهدية فان ثمن هذه السلسلة يفوق كل ما نقدناك اياهُ اجرةَ لعملك مذ عرفناك • فقال كلاَّ يا سيدتي فان هذه الهدية الحقيرة لا ثمن لها الاَّ اذا كانت في عنق ابنتكِ فهي اذ ذاك لا يعادلها ثمن اما انا فقد صنعتها في اوقات الفراغ فلم أُضع لاجلها شيئاً من وقتي ولا عطلت لاجلهـا عملاً وكنت منذ صنعت اول حلقة منها قد صممت على تقديمهـا الى هذه السيدة فارجو ان لا ترفضي طلبي • وحاولت الوالدة ان تقنعهُ بقبول شيءٍ من ثمن السلسلة فلم يقبل ورأت من الحاحهِ وترقرق دموع الخجل من مآقيهِ ما جعلها تخجل من مراجعتهِ فقبلتها شاكرة وامرت ابنتها ان تلبس السلسلة وتشكرهُ على هديتهِ • ففعلت الابنة وهي مسرورة بتلك الحلية الجميلة ورددت لهُ بعض عبارات الشكر فاجابها عليها بتمتمةٍ لم يسمعها احد حتى ولا هو نفسهُ

ولما خرجتا من الدكان جعلت الوالدة تفكر في السبب الذي دفع الصائغ الى

تقديم هذه الهدية الثمينة و بان لها نورٌ خفيف من جانب الحقيقة ثم جعلت تشاور نفسها فيهِ فرأتهُ فتى اديباً نشيطاً ومن محتدٍ كريم فلم ترَ ما يمنع ان تزف اليهِ ابنتها وتحققت انهُ يكون لها خيراً من سواه • و بعد يومين عادت الى الحانوت واجهدت نفسها في استطلاع دواخل لويس فتحقق لها ظنها ففاتحتهُ الحديث وما صدق ان سمع ذلك حتى اعترف لها بمحبتهِ للويزا وشرح لها هيامهُ وغرامهُ • فوعدتهُ خيراً على ان تسأل ابنتها ودعتهُ لتناول طعام المساء عندها في ذلك اليوم • وما صدق لويس ان جاء الميعاد حتى سار يدفعهُ الشوق ويقودهُ الحب الى ان بلغ البيت فاستقبلتهُ الوالدة بوجهٍ باش حقق للويس امانيهُ فقضى سويعاتٍ لا اتمّ من سرورها على قلبهِ • وانتهى الامر بان خطب لويس لويزا وجعل يهتم بمساعدتها ومساعدة والدتها على اعداد الرياش اللازم لمنزلهِ والاستعداد للمعيشة البيتية وفي نهاية ثلاثة اشهر عقد لهُ عليها فكانت حياتهما معاً حياة سعادة وهناء ولم يبقَ للويس من مشتهى سوى ان يحصل على البنين فتتم امنيتهُ وسعادتهُ

ولكن الزمان ليس فيهِ امان فان صفوهُ الى كدر وسعادتهُ الى شقاء وكل امنية فيهِ انما هي برقٌ خلب • فما مضت على زواج لويس السنة الاولى ونصف الثانية حتى افل نجم سعادتهِ وتعكر جوّ سرورهِ وذلك انهُ كان للويزا نسيبٌ شابٌّ غني يزورها حيناً بعد حين فانتهى ترددهُ بان مال اليها ومالت اليهِ ثم هام بها فهامت بهِ وقد نسي كلاهما انهما انما يطآن تحت اقدامهما عفة الزواج و يسرقان من لويس حقهُ المقدس • ولما كان الحب اعمى فقد اطبقت لويزا اجفانها عن النظر الى زوجها وأصمت أذنيها عن سماع صوت ضميرها فلم يعد يهمها من العالم سوى قرب الحبيب الجديد وقد اهملت كل شيء في الوجود ما خلاه

ولم يكن لويس غافلا عن انقلاب زوجتهِ بل عرف حقيقة امرها و « دلائل الحب لا تخفى على احدٍ » فاجهد نفسهُ في تحويل افكارها عن تلك الهوّة التي عزمت على القآء نفسها فيها و بذل وسعهُ في ارجاعها الى محبتها الاولى ولكن هيهات

واذا تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب في حديدٍ باردِ

ولما اعياهُ الامر لم يطق البقآء على تلك الحالة ففكر في الانتحار ولكنهُ ابعد هذا التفكر عنهُ للحال لاعتقادهِ ان الانتحار ملجأ الضعيف العزم فقرَّ قرارهُ اخيراً على ترك الديار والهرب الى ناحيــة تنسيهِ معالم سعادتهِ الدارسة . ولما كانت لويزا حاملاً اخرهُ ذلك عن تنفيذ رغبتهِ وقد اشفق على الطفل ان يؤخذ بجريرة الام فصبر على احرّ من الجمر الى ان وضعت لويزا ابنةً كانت مثال الجمال . فسكن ذلك شيئاً من جأشهِ غير انهُ كان يرى من زوجتهِ كراهةً شديدة للطفلة وعدم اعتنآء بهـا فزاد ذلك في يأسهِ وغمهِ . وفي ذات يوم نهضت لويزا من رقادها وقامت مكرهةً الى سرير ابنتها فرأتهُ خالياً وهو مرتب كأن لم يكن فيهِ احد وعلى وجههِ رسالة معنونة باسمها ففتحتها فاذا فيها ما يأتي

حبيبتي لويزا

تصل هذه الرقعة الى يدكِ حين اكون على بعد عدة اميالــ من البلدة التي شهدت فيها سعادتي وشقآئي والتي لا اروم ان اذكرها من بعد . وقد اخذت معي منها جميع ما يخصني ابنتي والسلسلة التي كانت عربون ارتباط قلبين نقيين وتركت لكِ جميع ما ملكتهُ يداي يكون تحت مطلق تصرفكِ . فانتِ مطلقة القياد بعد تركي ايالكِ كأنكِ لم ترتبطي بي قط فانني

تركت حبيب القلب لا عن ملالةٍ ولكن جنى ذنباً يؤول الى التركِ
اراد شريكاً في المحبــة بيننا وايمان قلبي لا يميل الى الشركِ

ولو كان امركِ مقصوراً على الاشراك في محبتي فقط لسهل عليَّ تلافي ذلك ولكنكِ قد اعتضتِ عن محبة الزوج الامين عشق رجل اجنبي غادر فاعلمي بانهُ لا يمضي عليكما وقتٌ طويلٌ حتى يلفظكِ لفظ النواة فتندبين ما فات وتندمين ولات ساعة مندم . اما انا فاما ان اجد من نفس مصابي ما ينسيني العلة التي استحكمت فيَّ او ان يوافيني الموت وفيهِ اتم راحة تخلصني من دهر ملائكتهُ ابالسة وامناؤهُ خونة

« لويس »

ولما اتمت لويزا تلاوة هذه الرسالة قلبت شفتيها بازدرآء ثم هزت منكبيها

وعادت الى غرفتها بدون ان يبدو عليها ادنى تأثر

وتسبب عن اختفآء لويس والطفلة بعض اللغط في الجيرة وبين اهل المنزل واخذ كلٌّ يتقوَّل بما شآء واتت على ذلك الايام فنسوا السبب والمسبب والانسان مفطور على النسيان • وخلا الجوّ لاويزا وعشيقها مدةً الى ان هام بفتاة رغب اهلهُ في تزويجهِ منها فانقطع عن لويزا انقطاعاً تاماً تاركاً اياها كأفعى تبحث عمن تنفث فيهِ سمها • وزاد في همها ان مرضت والدتها وماتت فبقيت وحيدة تقارع صروف الدهر وتذكر بدموع الندم النعمة التي كانت فيها فرفضتها فتضع رسالة زوجها امامها وتندب سوء مصيرها بدموع سخية • وعلمت ان البحث عن زوجها لا يجديها نفعاً فاستسلمت للقضآء ورجت ان يسمع بحالتها فيرثي لها ويرجع اليها ولكن كان انتظارها عبثاً • اما لويس فكان قد حمل طفلتهُ وجعل يسير بها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى الى ان بلغ باريس فاقام بها في ناحية كثيرة السكان وهو يود ان يختفي في تلك المدينة الكبيرة ويحتجب بين جماهير سكانها فلا يدري بمكانهِ احد • وكان يشتري اللبن ويغذو بهِ طفلتهُ وهو ينفق عليها وعليهِ من ثمن بعض حليهِ التي باعها في إثنآء سفرهِ • وظن لويس انهُ يسلو زوجتهُ ووطنهُ وما اصابهُ ولكن هيهات فانهُ لم يكن ببرح من امامهِ قط ما وصل اليهِ وما كان قد مني نفسهُ بالحصول عليهِ فازداد غمهُ واسفهُ وعاودهُ فكر الانتحار فزجرهُ ضميرهُ ووقفت صورة تلك الطفلة امامهُ فكاد المسكين يفقد عقلهُ وهو لا يقرّ على رأي

كريشةٍ في مهب الريح طائرةٍ لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

وكان في ذلك الحين ان الجنرال ناپوليون بوناپرت قصد الزحف على الديار المصرية فما كاد لويس يسمع خبر ذلك حتى وجد حلاًّ لما اراد وتوجه لساعتهِ فطلب الانتظام في سلك الجندية لعلهُ يجد في مشاقها ما ينسيهِ همهُ او في معامعها ما يخلصهُ من ثقل الحياة • فلما قدم طلبهُ الى الجنرال نظر اليهِ بوناپرت بعينهِ النقادة وقرأ ما يجول في صدرهِ فلم يمانع في قبولهِ وقال لهُ ساجعلك منذ الساعة في معيتي فادخل بهذا الامر الى متولي المعدات وعد اليَّ في الحال باللباس العسكري •

فانحدرت على وجنتي لويس دمعتان وقال اما وقد قبلت سؤلي يا مولاي فاسمح لي ان اغيب ساعة واعود لارافق شخصك ما حييت . فنظر اليهِ ناپوليون شزراً وقال ظننتك خلياً لا يمنعك شيء عن مرافقة هذه الحملة اما وقد ظهر لي انك عاشق تبكي على فراق حبيبة فاني لا احتاج الى مثل هذه القلوب الصبيانية . فصعد الدم الى وجه لويس وقال لا تظلمني يا مولاي فلست بعاشق وقد مات قلبي عن حب النسآء ولكن لي طفلةً ساتركها لرحمة الله واود ان اقبلها قبلة الوداع قبل ان افارقها الى الابد وهي لبانتي وقطعة من جسمي . فسألهُ بوناپرت عن خبرهِ فقصَّ عليهِ حكايتهُ فتأثر تأثراً شديداً وقال اذهب وعد بالطفلة اليَّ . و بعد حصةٍ من الزمان رجع لويس بابنتهِ فأخذها ناپوليون على ذراعهِ وتأمل فيها قليلاً ثم ارجعها الى ابيها وكتب ورقةً فدفعها اليهِ وقال خذ هذه واذهب الى كلية نانت فادفع رسالتي الى رئيستها وقد اوصيتها ان تحافظ على هذه الطفلة وتربيها على حسابي الخاص فسلمها اليها وثق انني ساكون اباً لها في غيابك . فجثا لويس امام الجنرال شاكراً ثم نهض فتوجه الى الكلية المذكورة وقابل الرئيسة فدفع اليها الرسالة . ولما قرأتها قالت سمعاً وطاعةً لاوامر جنرالنا المحبوب ثم مدت يدها لتأخذ الطفلة فاستوقفها لويس وانتزع من عنقهِ السلسلة الذهبية ففصلها وحلَّ القلبين المعلقين بها ثم ارجع نصف السلسلة والقلب الواحد الى عنقهِ وعلق الآخر على عنق ابنتهِ وقبلها بتأثر شديد وسلمها للرئيسة . ولما همَّ بالخروج قالت لهُ الرئيسة انك لم تخبرني عن اسم الطفلة . فقال اسمها . . لويس . . . قالت ولكن هذا اسم غلام وليس اسم فتاة . قال لا اعرف اسم فتاة اسميها بهِ ويحدثني قلبي بان هذه الدقيقة آخر عهدي بهذه الطفلة فسميها بما تشائين . ولما قال هذا اسرع بالخروج ليخفي كمدهُ ودموعهُ وشعرت الرئيسة بذلك فاخذت الفتاة ودخلت واطلقت عليها من ذلك الحين اسم لويس

وعاد لويس الى الجنرال ناپوليون وقد ارتدى بالثياب العسكرية فجعلهُ من المقرّبين اليهِ و بعد بضعة ايام سافرت الحملة وكل افرادها قلوب حديدية تتوق ان تسير بقائدها المحبوب فترفعهُ الى قمة اعلى هرمٍ في مصر

وفي سنة ١٨٠٠ كانت الجنود الفرنسوية تنتقل في جهات القطر المصري حتى حاذت القاهرة وفازت في معارك هائلة نشبت بينها و بين الاتراك . وكان الجنرال ناپوليون يراقب افعالـــ لويس فرآهُ يرمي بنفسهِ الى اشد المواقف خطراً وهو لا يبالي بنفسهِ فاحبهُ جداً واشفق عليهِ لعلمهِ ان اليأس يدفعهُ الى فعل ذلك وتحقق ان لويس لم ينسَ خيانة زوجتهِ فصرَّ ناپوليون باسنانهِ وقال آه من المرأة واقتدارها فهي التي ترفع الانسان الى اعلى مقام وهي التي تضعهُ حتى الى القبر

ولما رأت الدولة البريطانية ان النسر الفرنسوي يكاد ينشر اجنحتهُ على القطر المصري وخشيت ان يتم فأل الجنرال ناپوليون بالاستيلآء على الطريق المؤدية الى الهند جهزت للحال اسطولاً بحرياً وجيشاً عرمرماً فاوفدتهُ الى مصر لمنع الفرنسويين من امتلاكها واخراجهم منهـا . و بلغ الخبر ناپوليون فارتد الى الاسكندرية ليصدّ الانكليز عن النزول الى البر فقابلهم في ٢١ مارس سنة ١٨٠١ ونشب بين الفريقين معركة عظيمة مشهورة كانت نتيجتهـا ان أُجبر الفرنسويون على اخلآء مصر فاخلوا الاسكندرية في ٣٠ اغسطس من تلك السنة تاركين فيهـا عدداً ليس بقليل من القتلى . وكان بوناپرت يسير بين القتلى فرأى جثة لويس فحزن على فقد هذا البطل وترجل فانحنى عليهِ ورفع رأسهُ بين يديهِ وتأملهُ هنيهةً ثم قال « يسوءني فقدك ايها الرفيق ولكنني اهنئك فقد استرحت الآن ايها القلب الكسير » . ومرَّ بعدهُ بقية الجيش فنقلوا القتلى ودفنوهم في تلك الجهات وقد منعهم الوقت من الاحتفالـــ بدفنهم كما ينبغي

. . . . . .

و بقيت لويزا في ليون سنوات وهي لا تدري ما حلَّ بزوجها وابنتها وزادت حالتها شقآء وضجرت من الاقامة فباعت ما بقي لها في تلك البلدة وسافرت الى باريس فدخلت مستشفى واقامت فيهِ بوظيفة ممرضة وهي تود ان تكفر بعملها هذا عما اسآءت بهِ الى زوجها

وطلبت يوماً لتمريض فتاة في كلية نانت فذهبت فوجدت العليلة فتاة في مقتبل

العمر نحيلة القوام جميلة الصورة وقد استولت عليها حمى قوية غيبتها عن رشدها والى جانبها الطبيب فلما رأى الممرضة فوّض اليها امر العليلة واوصاها بالادوية اللازمة وطرق المعاملة وخرج . فجلست لويزا بالقرب من السرير وجعلت تتأمل في المريضة وهي تحزن عليها . ثم حانت منها التفاتة فرأت في عنقها شيئاً يلمع تحت قميصها فدفعها الاستغراب الى معرفة ذلك فرفعت طرف القميص وما كادت تفعل حتى نظرت السلسلة والقلب فعرفتهما للحال واذ ذاك اصابتها نوبة عصبية فصرخت وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . ودخلت بعد قليل الرئيسة فوجدت لويزا على تلك الحالة فاسرعت لتنشيقها بعض المنعشات الى ان افاقت وحاولت ان تنقلها الى جانبٍ فأبت ان تبتعد عن سرير النائمة . ولما ملكت روعها طلبت من الرئيسة ان تخبرها عن الفتاة من هي وكيف وصلت اليها . فاخبرتها الرئيسة عن كيفية وصول الفتاة وعن ابيها ورسالة الجنرال ناپوليون وكيف ودّعتها والدها وترك في عنقها نصف السلسلة التي كان عنقهُ مطوّقاً بها . وكانت لويزا تسمع ذلك وينتابها تشنج عصبي يكاد يودي بحياتها . وعادت هي فاخبرت الرئيسة بقصتها وكيف ساقها جهلها وقصر عقلها الى ما فعلت فاضاعت راحة المعيشة وفقدت زوجها وابنتها . فرثت الرئيسة لمصابها ولبثت المسكينة بجانب سرير ابنتها لا تفارقها لحظة وهي تمرّضها بمنتهى العناية والحنان الى ان ملكت تمام عافيتها . فعرّفتها بنفسها وضمتها الى صدرها بعد ان اعادت عليها تاريخها وجثت امامها طالبة منها الصفح والغفران . ثم طلبت الى الرئيسة ان تسمح لها بابنتها لتأخذها وتعيش معها فقالت الرئيسة اني استلمت هذه الفتاة طفلة بامر الجنرال بوناپرت فلا يمكنني ان اسلمها الاَّ اليهِ او بامرهِ . فصممت الوالدة على الذهاب الى ناپوليون وكان قد صار امبراطوراً فتتوسل اليهِ ان يعيد اليها ابنتها ولعلهُ يعرف مقرّ زوجها فيرشدها اليهِ . فلما مثلت امام الامبراطور اظهر لها الجفآء والغلظة في الكلام وانهُ اعطى من نفسهِ عهداً بتربية الطفلة فهو لا يسلم بان تأخذها والدتها لئلاَّ تتعلم منها صفاتها السيئة . ولكنهُ لما رأى دموع التوبة والندم رقَّ لها فاخبرها بما اصاب زوجها وقال لها يكفيكِ من القصاص

ان تتذكري على الدوام انكِ كنتِ انت السبب في قتلهِ . ثم امر ان ترد اليها ابنتها وعين للفتاة مرتباً تتقاضاهُ شهرياً من الخزينة الى ان تتزوج او تموت

واخذت لويزا ابنتها فاكترت لهما غرفةً في بيت واقامت معها فيها وهي تجتهد في تثقيفها وتهذيبها بنفسها ولا تود ان تفارقها دقيقة واحدة . ورغب كثير من الشبان في الاقتران بالفتاة وقد ادهشهم جمالها وادبها فرفضت الفتاة رفضاً باتاً وهي كلما افتكرت فيما اصاب والديها على اثر زواجهما تنفر منهُ وتكرههُ اشد الكراهة . وما زالت مع والدتها السنين الطوال الى ان ماتت الوالدة وهي لا تفتر عن توصية ابنتها عند نفسها الاخير ان لا تحقد على علة شقآئها وانها متى قابلت اباها في السمآء تشهد امامهُ بتوبة والدتها وتساعدها في طلب الصفح منهُ . فبكت الفتاة والدتها اياماً وكانت تزور قبرها كل يوم وهي لا تزال في تلك الغرفة تعيش من المال المعين لها وتوفر منهُ ما شآء الله الى ان انقضت الدولة البوناپرتية فانقطع عنهـا ذلك الراتب وعادت الى الانفاق مما جمعتهُ

وبعد سنوات عديدة نهضت لويس يوماً فجمعت ثيابها وحوائجها في صناديق واستعدت للسفر . ورأتها صاحبة المنزل فسألتها عن غايتهـا من ذلك فاجابت انهُ لا ينبغي ان انسى والدي وعلة وجودي فقد جاورت قبر والدتي سنوات فيجب ان اجاور قبر والدي ما بقي لي من العمر . وها انا الآن اقصد الاسكندرية لاقيم فيها فان لم اهتدِ الى لحدهِ فانني اكتفي بان اكون على مقربة منـهُ . وحاولت المرأة ان تثني لويس عن عزمها فلم تفلح وجآءت هذه الاسكندرية فاقامت فيها متعزية انها بالقرب من ضريح والدها

. . . . . .

في اوائل سنة ١٩٠٤ عثر بعض الجنود الانكليزية على مدفن بالقرب من شاطئ الاسكندرية ووجدوا فيهِ رمماً عرفوا من بقايا ملابسها والازرار النحاسية التي عليها انها بقايا جثث ابطال ذلك القائد الفاتح العظيم ناپوليون بوناپرت . واخذ هذا الاكتشاف مكاناً من الاهمية فقررت الحكومة المصرية ان تنقل بقايا تلك

الجثث باحتفال يليق بها وان تسلم الى النزالة الفرنسوية لتحفظها مع بقية آثار بطل فرنسا . وكانوا كلما اخرجوا جثة تجتمع جماهير المتفرّجين وكلهم يود ان يرى جثة من جثث اولئك الابطال الذين مرّ عليهم ما يزيد على مئة سنة . وكان بين المحتشدين في ذلك المشهد عجوز بيضاء الشعر محنية الظهر رقيقة الجسم يخالها الناظر جلداً بشرياً قد نشر على هيكل مجرَّد عن اللحم تجرُّ نفسها بثقل فتخترق الجمع المحتشد وهي تقول دعوني ارى ابنآء وطني الذين عاصرتهم . وكان الجميع يفتحون لها طريقاً اعتباراً لسنها واعترافاً لها بهذا الحق . وكانت كلما اخرجوا جثة تقترب فتنفرس فيها وتقول من يدري ان يكون هذا ليس اياهُ . و بلغت اخيراً جثةً فما وقع نظرها عليها حتى ارتجفت ارتجافاً شديداً ولم تقوَ رجلاها على حملها فسقطت الى الارض بجانبها ثم جعلت تفرك عينيها لترى هل كان ما تراهُ حقيقةً . ثم مدت يدها الى عنق ذلك الهيكل الداثر وقبضت على سلسلة ذهبية فيها قلب ذهبي واخرجت باليد الاخرى سلسلة تشابهها من عنقها فتأملت في الاثنتين وصاحت بصوتٍ يقطعهُ البكآء والتنهد لقد وجدتك اخيراً يا ابتِ بعد مرور هذه الاعوام الطويلة فشكراً لك يا الهي انك لم تحرمني هذه النعمة . اما وقد وجدت جسمك هنا فلم تبقَ في نفسي حاجة وهآءنذا ذاهبة لملاقاة روحك في عالم الابرار ولأقص عليك توبة والدتي ولا شك انك تجيب سؤلي في العفو عنها

وكان منظر هذه العجوز وبكآؤها قد ألان قلوب المتفرجين وهم لا يدرون من امرها شيئاً سوى انها فرنسوية الاصل تبكي معاصريها فشاركوها في البكآء . ونقلت الجثث الى مدفن موقت قبل نقلها الى دار الآثار فرافقت العجوز المشهد وهي لاتكف عن البكآء حتى بلغوا الحفرة واجرت الجنود الاحتفال المعتاد واطلقت بنادقها مودعةً . فلما ابتعدت الجنود عادت العجوز فاقتربت من مأوى الجثة المذكورة وجثت فوقها وحنت رأسها علامة الصلاة ثم رسمت علامة الصليب وانحنت تقبل الارض فطال انحنآؤها ولما اقترب بعضهم لينهضها وجدوها قد فاضت روحها